دكتور بهاء الأمير
من حكايات كليلة ودمنة
جيفارا

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف:حدثني عن الثائر الأحمق!

قال بيدبا الفيلسوف: قال الحكماء يا مولاي إن الثورة لا تكون إلا علي ظلم وفساد عم الناس قاصيهم ودانيهم، فاضطربت معه أحوالهم وضاقت به معايشهم.

فإذا بلغ الظلم والفساد ذروته ونهض له من يبغي إزالته تبعه الناس أجمعين والتف حوله من جاء من الشمال ومن كان في اليمين.

قال دبشليم الملك: فكيف يكون من ثار لإزالة الظلم والفساد وتبعه القاصي والداني أحمق؟!

قال بيدبا الفيلسوف: قال الحكماء يامولاي إن الثائر إذا اختلط عليه ما قام لإزالته من ظلم وفساد بما لا يأمن الناس إلا به ولا تنتظم لهم حياة ولا يكون لهم معاش إلا في وجوده ،ولم يستطع أن يميز هذا من ذاك صار أحمق يهدم ما يبني ويفسد وهو يتوهم الإصلاح فتصير عاقبته إلي أمر من اثنين.

قال دبشليم الملك: وما هما؟

قال بيدبا الفيلسوف: إذا فقد الثائر يامولاي التمييز وصار أحمق انفض عنه من كانوا قد اجتمعوا إليه والتفوا حوله وقد رأوا ثورته وبالاً وعاقبتها خراباً.

فإذا رأي الثائر الأحمق الناس وقد انفضوا عنه باحثين عن رشيد يكون في رشده انتظام أحوالهم وعودة أمانهم، وقد كان يمني نفسه أن يأتمروا بأمره ويصيروا من تابعيه، عمي بصره وانطمست بصيرته، وعد جميع الناس عدواً ولم ير في انصرافهم عنه إلاغدراً، فتستحيل ثورته هيجاناً وسعاراً، فإما أن ينطلق مخرباً ذات اليمين وذات الشمال لا يقدر علي إيقافه أحد فيصير كالثور في مستودع الخزف

ويل الورى من عنيف أحمق خرف••• كأنه الثور في مستودع الخزف

قال الملك: وإما؟

قال الفيلسوف: وإما أن يقوم له الناس قومة واحدة فيصير إلى ما صار إليه حال القرد جيفارا.

قال الملك : وما الذي صار إليه حال القرد جيفارا؟

قال الفيلسوف : يروى يا مولاي أن لاعباً مشهوراً بلعبة كرة القدم ذهب مع فريقه إلى بلاد يكثر فيها القرود فأعجبه قرد فاشتراه وعاد به إلى بلاده .

ثم إن اللاعب صادق القرد وصار يصحبه معه في كل مكان حتى كان يجلسه في المباريات بين اللاعبين .

وفي إحدى المباريات رأي القرد فريق صاحبه مضطرباً ورياح اللعب ليست معه ، فأخذته الحماسة ، ثم فترت ، ثم حدثته نفسه : ما أسهل هذه اللعبة!

ثم لم تزل نفسه تدحرجه حتى نظر إلى صاحبه وهو يركض خلف الكرة فقال لنفسه: هو يجري وانا أسرع منه ،ويركل الكرة ورجلي أقوى من رجله ، فما يمنعني أن أكون مثله أو أفضل منه ؟

ثم إن القرد تسلل فارتدى فانلة عليها صورة جيفارا وشورتاً طويلاً يخفي ذيله وساقيه ووقف على خط التماس في انتظار اقتراب صاحبه ،ثم بحركة خفية قذفه بطوبة في ساقه ،فوقع اللاعب وسالت دماؤه فخرج من الملعب محمولاً .

وفي حماسة اللقاء أخذ القرد نفساً عميقاً وضرب بيديه على صدره ثم نزل إلى الملعب وهو يهمس لنفسه : سوف أنقذكم ، وأخذ يجري في طول الملعب وعرضه يحاول جاهداً لمس الكرة فلم يستطع ، ولم يزل يتحين الفرصة حتى جاءته الكرة فوجد الأمر أعسر مما كان يظن ،فإذا ركل الكرة بقدمه اصطدمت بركبتيه وإذا أراد ضربها برأسه وقعت على فكه وأدمت شفتيه.

قال في نفسه : أرجع إلى الخلف ولن يراني أحد في الزحام ، وجاءته كرة عالية فمنته نفسه أن يلعبها خلفية كما كان يفعل صاحبه وطار في الهواء رافعاً رجليه فإذا الكرة تصطدم بمقعدته وتدخل مرماه .

وضج الجمهور بالضحك والقرد ينحني لهم تحية على إعجابهم به.

وهاهنا تنبه له الفريق فصار اللاعبون يجرون وراءه ويركلونه ،وعولج صاحبه فدخل الملعب وخرج القرد ثائراً يقول لنفسه : أبعد ما أحرزت هدفاً وصرت نجماً ينكرونني وينتزعون النصر مني .

ثم إنه جرى إلى الفريق المنافس وقال لهم: ألعب معكم ،فسخروا منه وقالوا : وما تصلح أن تفعل ؟

وناداه ماكر منهم وقال له: سوف نجعلك تلعب في أخطر موضع ،فأنت تقف هاهنا خلف مرمانا ، فإذا مرت الكرة من حارس مرمانا كنت لها بالمرصاد ، فأنت حارس الحارس ، فإذا جاءتك الكرة فالعب بها وحدك كي تبرز مواهبك .

وسر القرد سروراً عظيماً وصار يؤدي ما طلب منه بجد وإخلاص حتى فاض الكيل بالجمهور وبلاعبي فريق صاحبه من ضياع الوقت ، ونزل متفرج من المدرجات وفي يده عصا وصار يجري وراءه حتى كاد يلحقه ،فلم يجد القرد مفراً من أن يخلع الشورت الذي يعوقه عن الجري فبان ذيله وحمار إسته .

وذهب القرد إلى صاحبه ليحتمي به فركله ،فلم يزل يجري حتى ترك الملعب والاستاد وظل يجري هائماً تائهاً حتى وصل إلى المطار ،فجلس على بابه ينتظر أن يذهب به أحد إلى بلاد جيفارا.

د/ بهاء الأمير

ديسمبر 2011م